الأموال الزكوية (١)

س: في الحلقة الماضية عرَّفنا بالزكاة تعريفاً مجملاً عاماً، ونريد في الحلقات القادمة أن نقف على الجوانب المختلفة لفقه هذه الفريضة الإلهية والعبادة المالية. ولعل من الأنسب أن نبدأ بتحديد الأموال التي تجب فيها الزكاة، فهل كل مال تجب فيه الزكاة؟ أم أنها تجب في مال دون مال؟

جـ- بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله الكريم..

فقد قلنا في الحلقة السابقة أن النبي ﷺ فرض الزكاة في الأموال ذات الأهمية في عصره، ذلك أن القرآن الكريم جاء بنصوص مجملة في هذا الخصوص فلم تزد أوامره بها عن الأمر بإيتائها، وبيان أنها حق معلوم في أموال المؤمنين، ثم قامت السنة بتفصيل الأمر وكان طبيعياً أن يفرض الرسول ﷺ الزكاة على الأموال ذات الأهمية في المجتمع العربي على عهده. ولم يكن من المنتظر أن يفرضها على أموال لا يعرفها العرب أو غير شائعة بينهم، أو على أموال لم يعرفها العالم كله إلا بعد قرون عديدة من بعثته عليه الصلاة وأزكى السلام.

ولم يكن في الأمر مشكلة يوم أن كان المسلمون يجيدون تطبيق الإسلام، وتطويع السياسة المالية لما يحقق مصلحة المجتمع وفق كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإنما أصبح الأمر مشكلة يوم أن جمد المسلمون، واعتبروا اجتهادات السابقين نهاية المطاف، ناسين أن كتاب الله وسنة رسوله هما اللذان ينطقان بالحق، في كل عصر، وأن اجتهادات السابقين مبنية على هذين الأساسين، وأنهما لازالا صالحين لمد المجتمع بما يحقق مصالحه في كل عصر ومكان. والحقيقة أن ذلك لم يكن ليحدث لولا بعد

الشريعة عن التطبيق، إذ أنه هو المحك الحقيقي الذي يجعل القواعد والأسس تستجيب لحاجات المجتمع، وعليه فإننا نقول: إن الزكاة تجب في كل مال نام بالفعل أو بالقوة أيًّا كان شكل هذا المال، وأيًّا كان مصدره طالما أنه يحقق الغنى، ويعتبر الناس صاحبه غنياً.

س: ما هي الحكمة من مجيء الأمر بخصوص الأموال الواجب فيها الزكاة مجملاً في القرآن، ثم يأتي التفصيل في السنة المطهرة؟

ج- الحكمة من مجيء الأمر بزكاة المال مجملاً في القرآن، مفصلاً بالسنة حكمة جليلة، وهي التي مكنتنا من القول بوجوب الزكاة في كل مال كان معروفاً أيام نزول القرآن الكريم أو عرف بعد ذلك، أو سيعرف في القرون التالية. هذه الحكمة تتمثل في ضرورة أن يعلم المسلمون أن تفصيل النبي ﷺ وتحديده لأموال الزكاة في عصره، إنما جاء بما يناسب ظروف هذا العصر، وأن على ورثته من العلماء أن يهتدوا بهديه في تفصيل الأمر المجمل الوارد في القرآن الكريم، على أن تفصيلهم هذا لن يكون من فراغ، وإنما سيكون محكوماً بفعله ﷺ وبطريقته في إخراج الأمر بالزكاة إلى حيز التنفيذ، ومجال التطبيق. ولدينا من القياس أداة طيعة نستخدمها في هذا المجال، فنقيس المال على المال ونقيس النسبة على النسبة، حتى نصل إلى تحديد حق المجتمع في الأموال التي لم تكن معروفة على عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه. فما جاءنا به ﷺ أخذناه، وما لم يجئنا به بذلنا الجهد في معرفة حكمه على ضوء إشعاعات ما جاءنا به عليه الصلاة والسلام.

س: كيف تعامل الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه القضية؟

جـ- لقد تعامل الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه القضية بالطريقة التي بيناها، فهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة ولذا كان هذا الأسلوب هو الذي سلكوه بعد رسول الله ﷺ، فهو عليه الصلاة والسلام لم ير في الخيل نماءً، وتحقيقاً للغنى فلم يفرض عليها زكاة، إذ كان الشخص يمتلك فرساً أو اثنين للسفر والجهاد، ولما وجد سيدنا عمر أن البعض يربى الخيل وبدأت خيله تتناسل وتكثر وتمثل غنى له، فرض فيها الزكاة، ولم يعترض عليه أحد رضي الله عنه، ولم يقل أحد إن النبي ﷺ لم يفرض الزكاة في الخيل، لأنهم كانوا يفهمون أن الأمر جاء مجملاً في القرآن ليستوعب التطورات، وأن السنة ثم الاجتهاد يفصلان هذا الإجمال، وأن ذلك ماض إلى يوم القيامة، كلما جد من المال جديد، وظهر مال لم يكن معروفاً كان من حق الدولة أن تأخذ من هذا المال حق الله والمجتمع، تأخذه من الغني به فترده على الفقير إليه. «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ».

ومجمل القول أن الأموال التي تجب فيها الزكاة تتحدد بقاعدة كلية تقول: في كل مال نام زكاة متى بلغ هذا المال النصاب وخلا من الحوائج الأصلية لصاحبه وحال عليه الحول إن لم يكن في نفسه نماء، فإن كان يمثل نماءً بذاته ففيه الزكاة عند تملكه والحصول عليه دون حاجة إلى مرور العام أو الحول. وبناء على هذه القاعدة فإن نظام الزكاة يستوعب التطور في الزمان وفي المكان، فالإسلام رسالة عالمية، مقدر لها أن تخرج من الجزيرة العربية لتكون هناك أموال غير الأموال التي يعرفها العرب ومن ثم فيها الزكاة مثل المطاط والقطن وقصب السكر والبنجر، وهو أيضاً الرسالة الخاتمة المقدر لها أن تصاحب البشرية في مسيرتها عبر الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن

عليها، ومن ثم فستكون هناك أموال لم تعرفها البشرية في عصور ماضية وتجب فيها الزكاة عند استحداثها، مثل أساطيل النقل الجوى والبحري ومزارع الأسماك ومزارع اللؤلؤ ويخلق ما لا تعلمون. هذه هي القاعدة العامة، لكن المستمع ربما يكون في حاجة إلى أن يقف على الأموال الشائعة في عصرنا والتي تجب فيها الزكاة، وهذا ما سنقف عليه في الحلقة القادمة بإذن الله.

والله ولي التوفيق